٧ ــ التحديد الايديولوجي والقانوني للمنظمة الصهيونية العالمية :

ان جميع العناصر التي تمكنا من جمعها حول القوى الموجودة على الساحة الصهيونية ــ الاسرائيلية تشير دون ريب الى ضرورة صياغة قواعد جديدة للتعامل تكون متناسبة مع الاوضاع المستجدة التي رافقت قيام دولة اسرائيل . وليس من شأن هذه القواعد ان تحل جميع الاشكالات ولا حتى ان تجمد التناقضات ، بل كان من المراد بها التأكيد على نقاط الالتقاء والتعبير عن التراجعات التي كان لا بد منها والاتفاق على تأجيل البت في بعض الامور كي يحكم التاريخ حكمه . وقد اقرت هذه القواعد في مناسبات ثلاث : المؤتمر الثالث والعشرين للمنظمة الصهيونية العالمية (١٩٥١) ، التشريع الاسرائيلي المتعلق بوضع المنظمة القانوني (١٩٥٢) ، الميثاق الموقع من الطرفين (١٩٥٤) .

أ ــ المؤتمر الصهيوني الثالث والعشرون :

انعقد المؤتمر في القدس من ١٤ الى ٣٠ آب ١٩٥١ بعد تأجيلات عديدة اذ كان من المفروض ان ينعقد أصلا في اواخر ١٩٤٨ . لم تكن الاحداث الجارية في فلسطين هي فقط التي أخرت انعقاد المؤتمر ، بل كانت الصراعات الداخلية عاملا هاما في التأجيل . على كل حال ، بعثت الاحزاب الاسرائيلية ٢١٠ مندوبين بينما أرسلت الدياسبورا ٢٥٦ مندوبا . أما الكتلتان الهامتان من الناحية الحزبية فكانتا : عمال صهيون (١٦١) ، العموميون (١١٨) .

ليس هدفنا استعراض دقائق المؤتمر(٨٠)، بل ما يهمنا هو النتيجة التي توصل اليها فيما يخص تحديد مفهوم الصهيونية بعد قيام الدولة . كانت هذه المسألة بالفعل الحلقة التي دارت حولها جميع المناقشات . وكان المفروض في الاصل ان يتوصل المؤتمر الى اعلان « برنامج القدس » كي يحل محل « برنامج بازل »(٨١) الذي اعلن في المؤتمر الصهيوني الاول عام ١٨٩٧) وكان من المفروض ايضا ان يحدد ليس فقط مهمات الحركة الصهيونية بل هدفها النهائي . غير ان التناقضات القائمة بين المندوبين الاسرائيليين (الذين كانوا يؤيدون صيغة قومية متشددة) والمندوبين الاميركيين ، وحرص الاسرائيليين رغم كل شيء على بلوغ شبه اجماع في مسودة البرنامج ، والتخوف من ردة فعل يهودية اميركية عنيفة(٨٢) ازاء تحديدات قومية متطرفة ، كل ذلك حال دون تبني برنامج جديد يلغي برنامج بازل . فأجلت المسألة الى المستقبل وبقي برنامج بازل ساري المفعول . غير ان المؤتمر نجح في اتخاذ قرار يحدد مهمة الصهيونية كما يلي : « تقوية دولة اسرائيل ، وتجميع المنفيين في ارض اسرائيل ، وتنمية وحدة الشعب اليهودي »(٨٣).

قد يقال ان المهمة الصهيونية ، حسب ما عبر عنها المؤتمر تكفي ان تنعت بالتطرف القومي . هذا صحيح (بالنسبة لنا) ، ولكن اذا قيست بالمشروع الاولي ، يمكن اعتبارها « معتدلة » . لقد قدم الصهيونيون الاسرائيليون والتحريفيون مشروع قرار يقترح الصيغة التالية : ان **هدف** الصهيونية هو **خلاص** الشعب اليهودي **من خلال** تجميع المنفيين في ارض اسرائيل .

ما الفرق بين الصيغتين ؟ ان الصيغة الثانية ــ أي المشروع غير المتبنى ــ يشير الى ان الخلاص لا يكمن الا في الدولة وان تجميع المنفيين هو الوسيلة الوحيدة للخلاص (وهذا واضح من عبارة « من خلال ») وان الشعب اليهودي بأسره هو في المنفى طالما بقي خارج اسرائيل . اما الصيغة الاولى التي اقرها المؤتمر فعلا ، فانها تكتفي بسرد ثلاث مهمات مستقلة عن بعضها بعضا بعلامة فاصلة (؛) دون اجراء ربط بينها . فالربط يجعل من الرابط « وسيلة » الزامية ومن المربوط هدفا ، الامر الذي كان يرفضه الصهيونيون الاميركيون(٨٤). اما المهمات الثلاث المذكورة جنبا الى جنب ، فكانت تحظى باجماع الجميع (مع بعض التحفظ ربما من قبل اليهود الاميركيين) اذ كانت تتطرق اما الى برامج عملية (مساعدة الدولة ، تسهيل الهجرة لطالبي الهجرة) او الى تصريح طوباوي (وحدة الشعب اليهودي) . وأكثر من ذلك : ان الصيغة المعتمدة تشير الى عدم الوضوح المقصود : فعبارة وحدة الشعب اليهودي قد تعني وحدة روحية (التفسير اليهودي الاميركي)، او تعني وحدة قومية (التفسير الصهيوني الاسرائيلي) ، وعبارة « تجميع المنفيين » قد تشمل جميع يهود الدياسبورا (التفسير الاسرائيلي) كما يمكن ان تشتمل فقط على اليهود الذين يحتاجون الى الهجرة الفعلية دون غيرهم ممن لا يعتبرون انهم في المنفى (التفسير الاميركي) . أما كلمة « خلاص » ، فحذفت من المقررات النهائية نزولا عند رغبة الصهيونيين الاميركيين الذين رفضوا ان « يخلصوا »(٨٥).